الشعر في ميزان القرآن الحكيم

The Poetry in the Court of Holy Qur'an

الدكتورة ماه رخ افزا*

Abstract:

The Holy Qur'ān is said to be a book neither in poetry nor in prose; yet it has a unique rhyme with a metrical system peculiar to it. The science of prosody and metrics, which is linked directly to poetry with its two characteristics of meter and rhyme, is based on the inductive study of the formal qualities of the Arabic poetry. The Holy Qur'ān, though not a book of poetry, is far away from the stylistics of prosaic speech in the sense since the terminal-end points of the ayaths (verses) of its each and every surah are rhythmic and follow a metrical system of its own, which phenomenon is significant from the view- point of the science of prosody and metrics. Given this, each and every Surah of Qur'ān has a distinct quality whereby it can be recognized and differentiated from every other surah. Both Islam and the Qur'ān have abstained from going to the extent of putting an end to poetic genius; rather they have encouraged it differentiating good poetry meant for the cause of spreading Islamic message from the bad one that stands against the message of Islam. As regards the Qur'ān, its each and every Surah is dominated by multi-dimensional musical rhythms in synchrony with the total climate of its verses, which makes the listener spell-bound, and which plays an essential function so characteristic of the science of eloquent rhetoric.

....

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه المنتجبين وبعد:

ف هناك لمحة يسيرة عما يخّص ظاهرة الإعجاز الموسيقي، المتواجدة فى آيات القرآن وسوره من خلال نظام ﴿الفواصل والقوافي﴾ الموجود فيه بصفة مطّردة من البداية إلى النهاية، وبذلك هو

* ا...................................

كلام موزون بميزان أشد حساسية يتأثّر بنسبة ضئيلة من الحركة أو الهزة. و مع ذلك إن القرآن ليس شعرا كما إنه ليس نثراً. ففي هٰذا المقال نتحدث عن الشعر في ميزان القرآن الحكيم ﴿أو القرآن الحكيم في ميزان الشعر﴾، وذلك من خلال البحث اللغوي و الإصطلاحي فيما يختص ببعض المفاهيم ذات الصلة بالشعر مع اعتبار الأبعاد كالوزن والبحر والقافية. و أرجو بذلك إفادة الدارس والباحث كليهما ليتمكن من المقارنة و المفارقة ﴿comparison and contrast﴾ بين الشعر والقرآن الحكيم. و بيد الله التوفيق والسداد والرشاد.

العروض لغةً و إصطلاحاً:

إنّ كلمة العروض مشتقة من الفعل الثلاثي: ﴿عرض﴾ الذى يعنى مثلاً في السياقات الآتية كما يلي:

ا. عرض الشيء بفلان: أظهره له .

ب . عرض الشيء عليه: آراه إياه.

ج . عرض السلعة للبيع: أظهرها لمن يرغب فيها ليشتريها.

د . عرض الجند: جعلهم يمرُّون به كي يعانيهم.

ر . عرض الحصير: بسطه ﴿فمن ثمّ يأتى العرض بمعنى أحد الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض والثخن﴾.

س . عرض بفلان عارض: منعه مانع.

ش . عرض العود على الإناء وضعه عليه بالأرض.

ص . عرض الكتاب: قرأه عن ظهر قلبه.

ض . عرض عرضاً: أتى العروض أي مكة والمدينة و ما حولهما.

العروض من الكلام يعنى: فحواه و مغزاه.

هذه المسئلة عروض تلك المسئلة: نظيرها.[1]

يقول ابن منظور إن العرض عكس الطُول، و جمعه: أعراض

عرَضْت الكتاب/الجنْدَ عرض العين: أَمررتَهم عليك لتنظرحالَهم عَرض الرامي القَراِس عرضاً: أضجعها ثُمّ رمى عنها.[2]

وبالإختصار إن العروض في اللغة . كما يلخص حسنى عبد الجليل

يوسف . "يطلق على الناحية، و على الطريق الوعرالمعترض في الجبل، و على الناقة المستعصية، و على الخشبة المعترضة وسط البيت من الشعر، و على ما يعرض عليه الشيء، وهو المنقول إلى هذا العلم، لأنه يعرض عليه الشعر، فما وافقه فصحيح، و إلا ففاسد".[3]

هناك تعليلات كثيرة لتسمية العروض بالعروض. لقد ذهب قوم إلى أنّ العروض يعنى ما يتم عرض الشيء عليه، فـإن المعروض عليه معيار يعلم به صحة المعروض من أي علة و سلامته من أي سقم.

لقد عرف ابن حجر العسقلاني العروض بأنّه " ما يعرض عليه الشيء و هو أقربها، لأنّ الظاهر أنّ هذا هو المنقول منه إلى هذا العلم، لأنه يعرض عليه الشيء فما وافقه فصحيح والا ففاسد..".[4]

يعرف السيوطي العروض بأنّه "ميزان الشعر" يعرف به الصحيح من السقيم فيه. و إن العارف بدقائقه و أسراره و خفاياه يعلم أنه يزداد علماً بجميع ما يحتج به هولاء الذين يدّعون معرفة حقائق الأشياء من الأعداد و الخطوط ولنتط العديمة الفائدة.[5]

بداية علم العروض:

إ نّ الخليل بن أحمد الفراهيدى الذى هو واضع علم العروض[6] و مبدعه و أخذه من أحد معاني هذه الكلمة و هو ما لم يتم ترويضه من النياق ﴿she camels﴾، فكان ما لم يتم ترويضه من الفنون شبهه الخليل بما لم يتم ترويضه من النياق تزكيراً بأنّه هو الذى قام بترويضه.

من معانى العروض: الناقة الصعبة الّتى أخذت العرب بعض ألقاب الشعر منها ككلمة الرجز، التى تعنى حالة قيام الناقة على ثلاث قوائم.

و هنـاك تعليل آخر لتسمية العروض و هو أن العرب قاموا بتشبيه البيت من الشعر ﴿poetic verse﴾ بالبيت من الشعر ﴿house made of animal hair﴾ لكون بيت الشَعَر يحتوى على من بداخله كما يحتوى بيت الشعر على معانيه، و سمّي آخر جزء في الشطر أول من البيت عروضا لكونه يشبه"عارضة الخباء ﴿tent's middle wooden support﴾" . أي: الخشبة المعترضة في وسطه، و لذلك سمي هذا العلم بالعروض لكثرة ما يحتوى عليه من الدُور ﴿apartments﴾.[7]

هذا من ناحية المعنى اللغوى لكلمة العروض. و أما من ناحية المعنى الإصطلاحى لهذه الكلمة فهناك أيضاً أقوال شتى، منها:

ا. مر الخليل بسوق الصفّارين، حيث لفت إنتباهه طرق القوم على الطّشوت، فوجد في ذلك ما يشبه الأوزان ـ المتناسقة المتناغمة، فاستلهم من إيقاعها قواعده الخاصة بالتفاعيل والبحور الشعرية.

٢ . روي عن الحسين بن يزيد قوله سألت الخليل عن علم العروض: هل عرفت لهذا العلم أصلاً؟ قال نعم، مررت بالمدينة أثناء حجي، و بينما كنت في بعض شوارعها إذ وقع نظري على شيخ عند باب دار، و هو يعلّم غلاماً، و هو يردّد له:

نعم لًا نعم لا لا نعم لا نعم للا   نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم للا

فإقتربت منه، و سلّمت عليه، سألته: أيها الشيخ ما الذى تقوله لهذا الغلام؟ فأجاب قائلاً: علم توارث القوم عن سلفهم، و هم يسمونه التنغيم. فسألته لم سمي بهذا الإسم عندهم؟ فأجاب قائلاً: لقولهم: نعم نعم. قال الخليل عند ما قضيت الحج ورجعت فأحكمته. [8]

يأتى تقطيع ذلك على النّحو الأتى:

نعم لا نعم لا لا، نعم لا نعم للا	نعم لا نعم لا لا، نعم لا نعم للا
٢٢١ / ٢٢٢١ / ٢٢١/ ٢١٢١	٢٢١ / ٢٢٢١/ ٢٢١/ ٢١٢١
فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن	فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن

٣ . روي عن الخليل نفسه أنه رأى رجلاً في الصحراء أخذ يردّد على سمع ابنه أجلسه بين يديه: ﴿ نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا ﴾ مرتين، فسأله ما الذى تقول لهذا الصبي، فأجاب قائلاً: إنّه التنغيم، و هو، علم نعلّمه لصبياننا. [9]

لقد إستبعد الشيخ جلال الحنفي الرواية الأولى على أساس كون الخليل ذا معرفة بالنغم والإيقاع، وهما من الفنون التى تستند إلى ما إتسق من الموازين التى يحسّ بها كل من له سمع غير معتل و ذوق سليم.

على فرض صحة شئ من هذه الرواية يمكننا القول بأن الخليل أعجبه أسلوب الطّرق على الطشت بناء على إحتمال أنّ الطّارق كان يتطرق على طشته بطريقة متوازنة حسنة الوقع على السمع . الأمر الذى قد يقع بصفة دائمة إلاّ أنّ جعل هذه الرواية أصلاً و أساساً تدوين قواعد العروض شيئ مردود لا يقره الشيخ الجلال الحنفى، حيث إنّ العلاقة بين إختراع فن التفاعيل و بين أسلوب طرق الطشوت مفقودة، فإن هذه، و إن كانت متناسقة، لا تسبب إلاّ

أصواتاً ذات تأثير إيقاعي محدود، بينما تتميز المقاطع القولية في الكلام شعراً و نثراً في الأسماع. معنى ذلك أنّه ل يس هناك سر غامض كشفته طريقة قرعِ الطشوت.

و أما الرواية الثانية والثالثة فيعلق عليه الشيخ جلال الحنفى بقوله إنّ نص هاتين الروتين قد تكون له قيمة تاريخية مقبولة إلاّ أنّ مما يجب أن يتم الإنتباه إليه أنّه لا تشير الروايتان إلى أنّ ذلك كان أمراً معروفاً عند الشعراء في العصر الجاهلي، أو كان ذلك من بعض دأبهم.[10]

علم العروض والشعر:

إن علم العروض متصل مباشرةٌ بالشعر و ما يتواجد فيه من الوزن والبحر، حيث إن الشعر هو الكلام الموزون.

إن علم العروض علم ينبني على إستقراء و تتبع الأوزان التى عليها أشعار العرب.[11]

لقد ذكر السكاكى أنّ أوزان الأشعار عن طريق إستقراء مختلفاتها ﴿أي: الأوزان المختلفة﴾ تعود عند الخليل بن أحمد بحكم ما تمّ إعتباره من المناسبات على وجهها من جهة الضبط والتجنب على الإنتشار إلى خمسة عشر أصلاً تسمى بحوراً ترجع بدورها إلى خمس دوائر تنتظيم في شكل حـ كات و سكنات معدودة على نحو أنها يتم ضبطها في حروف منظّمة تكون الضوابط التى تسمّى ﴿ أصول الأفاعيل﴾، و هى ثمانية لفظاً، إثنان منها خماسيانً: فعولن فاعلن، وستّة سباعية: مفاعيلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلتن . متفاعلن مفعولات.

و إنّ تركيبات هذه الأفاعيل تنقسم إلى خمسة أنواع أو اربعة كما يلي:

ا. أحدها: حرفان، يسكن ثانيهما، و أنّه يسمى "سبباً خفيفاً".

ب . و ثانيها: حرفان متحركان يأتى بعضهما ساكن، و هو يسمى وتدا مجموعاً.

ج . و ثالثها: حرفان متحركان في وسطهما ساكن، و هو يسمّى وتدا مفروقا.

د . و رابعها: ثلاثة أحرف متحركات بصفة متتالية يأتى بعدهن مباشرةً ساكن، و هو يسمى فاصلة صغرى.

ر . و خامسها: متحركان لا يأتى بعدهما مباشرةً ساكن كالنصف الأول ينتمى إلى الفاصلة الصغرى و هو يسمى سببا ثقيلاً. و على هذا الأساس كثيراً ما قيل فيها إنها تتركب من سببين هما: ثقيل و خفيف، فيعدُّ "فعولٌ" يتركب من "وتد مجموع" و سبب خفيف بعده و "فاعلن" بالعكس، بينما يتم عدّ "مفاعلن" مركباً من وتد مجموع قبل سببين

خفيفين و "فاعلاتن" منه بينهما و "مستفعلن" منه بعدهما، و "مفاعلتن" منه و من فاصلة صغرى بعده و "متفاعلن" بالعكس. و أما "مفعولا ت" فيتم عدّه من وتد مفروق يعقبه سببان خفيفان.

وأما "مستفعلن" و هو في الخفيف و في المبحث منه بينهما. و "فاعلاتن" في المضارع منه قبلهما، ثم يأتى في تعريفات الأ فاعيل مجموع أربعة أحرفٌ متحركات بصفة متتالية يأتى بعدهن ساكن فذلك يطلق عليه إسم فاصلة كبرى، وقد يذهب فيه علماء العروض إلَى إنها تتركب من سبب ثقيلٍ وتد مجموع.[12]

إن علم العروض علم فنى للغاية ينبنى . كما سبق قول . على إستقراء و تنوع مختلف أوزان الشعر العربى المتداولة منذ العهد القديم. يرى بعض العلماء بما فيهم ابن جنى الموافق لأشعار العرب باعتبار عدد الحروف والساكن والمتحرك يطلقون عليه إسم الشعر، بينما المخالف لها لا يدخل في عداد الشعر، و لو إستقام ذلك وزناً في طباع أحد لا يحفل به حتى يكون على الشروط المحددة المعترف بها عند العلماء.[13]

القرآن و علم العروض:

إنّ القرآن الحكيم أول كتاب في النثر العربى، يتميز عن غيره من أساليب و أنواع الكلام بنوعٍ خاص من الموسيقى يجرى و يسرى ألحانها في جميع القرآن من البداية إلى النّهاية. و إن كل سورة من السور القرآنية يمكن تميّ يزها بسهولة عن غيرها من السور لعدّة وجوه، منها: كل سورة قرآنية لها هويتة ﴿identity ﴾ و شخصية و نظم و وزن و بحر خاص بها، و بذلك تختلف كلّ سورة عن أيّة سورة أخرى.

بعبارة أخرى هناك إختلاف و تنوع يشعرهما القارئ والمستمع، يعود كلاهما إلى إختلاف و تنوع الأ سلوب البياني المشتمل على ما يختص بالقرآن من النّظم والوزن والبحر والتناعم الموسيقي . الميزات التى تختص بالقرآن.

و إنّ هذه هى الميزات التى كان العرب في زمن الرسول ﷺ يعترفون بها.

قد روي عن عكرمة عنه قال: أتى الوليد ابن المغيره النّبي ﷺ و طلب منه عليه السلام أن يقرأ عليه آيات من القرآن، فتلا عليه السلام عليه: " إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[14].

فلم إنتهى النّبي عليه السلام من التلاوة، طلب من النّبي عليه السلام الوليد بن المغيره أن يكرر ما تلا عليه، فكرر النّبي عليه السلام، فقال الوليد بن المغيرة: "والله، إن له لحلاوة، و إن عليه لطلاوة، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمخدق وما يقول هذا بشر".[15]

مع أن القرآن ، كما صرح القرآن بنفسه، ليس بشعر، يوجد فيه من جميع البحور، كما ذهب إليه السكاكى من هذه البحور ما يلي:[16]

١. بحر المجزوم، المتمثل في الآية:

" مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ...".[17]

٢. بحر المقتضب، المتمثَل في الآية:

" فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...".[18]

٣. بحر المنسرَح، المتمثل في الآية:

" إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ...".[19]

٤. بحر المتقارب، المَتمثل في الآية:

" وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ".[20]

٥. بحر المَضارع مَن مجزَومه، المتمثل في الآية:

" ...يوم التَّناد .. .يوم تولُّون مدبرين".[21]

٦. بحر المديد، المتَمثل في الآية:

" وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ...".[22]

٧. بحر الهجر من مخزومه، المتمثل في الآية:

" ...تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا...".[23]

٨. بحر الكامَل، المتمثل في الآية:

"...والله يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ".[24]

٩. بحر الرمل، المتَمثل في الآية:

" ...وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ..."[25] ، ومثله: " وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ".[26]

١٠. بحر الرجز، المتمثل في الآية:

" ودانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا".[27]

١١. بحر الوافر، المتمثل في الآية:

"...ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين".[28]

١٢. بحر الخفيفَ، المتمثل في الآيات:

" أرأيت الذي يكذّب بالدّين ، فذلك الذي يدعُّ اليتيم.[29]

"... لا يكادون يفقهون حديثا".[30]

"... قال يا قوم هؤلاء بناتي ...".[31]

لقد زعم بعض العلماءَ أنّ ما أتى في القرآن الحكيم من الكلام الموزون ليس من قبيل الشعر، إذ إنّ المراد منه ليس الوزن في حين أنّه ذهب أكثرهم إلى أنّ المقصود منه الوزن، و أنّ الله عزو جل رغم كونه لا يأتي بكلامه حسب الأ وزان الشعرية أتى كلامه عفوياً حسب ما تداول من البحور على نحو أعجز فصحاء العرب وبلغائهم بفضل ما يحتوى من النّظم والتراكيب والمعاني وصلت إلى درجة يعجز عنها كل فصيح و بليغ.

علم القافية:

القافية لغة و إصطلاحاً:

إنّ لفظة القافية مشتقةٌ من الـ فعل الثلاثي المعتل: "قفا"، الذى يحمل في السياقات التالية ما يلي: من المعاني ذات الصلة بها:

ا. قفا الرجل: ضربه على كفاه.

ب . قفا أثره: تبعه.

والقافية تعني لغوياً: مؤخّر العنق، و آخر كُلّ شيء و هى تعني إصطلاحياً آخر كلمه في البيت الشعرى أو آخر حرف ساكن فيه إلى أول ساكنٍ يتلوه مباشرة مع المتحرك الذى قبله ساكن.[32]

لقد عرفت القافية بما يجب تكرارها في أواخر الأ بيات من الشعر المقفى من أحرفٌ وحركات، و أطلق عليها إسم القافية لكون الشاعر يقفوها يعني: يتّبعها أو لأ نّ القافية تقفو ما قبلها[33] يعني: تتبعه.

لقد أشار صدّيق بن حسن القنوجي إلى قول العلامة ابن الصدد الشرواني في تعريف ﴿القافية﴾ بأنه علم يتم فيه البحث عن "المركبات الموزونة من حيث أواخر أبياتها".[34]

لقد ورد في تاج العروس أنّ القافية من الشعر ما يقفو البيت، و يطلق إسم القافيه عليها لكونها تقفوه.[35]

وورد في الصحاح أنّ تسمية القافية تعود إلى أنّ بعضها يتبع أثر بعض.[36]

يقول زهير:

تزوّد إلى يوم الممات فانه و لو كرهته النفس آخر موعد[37]

و في هذا البيت القافيه هى كلمة ﴿موعد﴾.

قد تكون القافية كلمة كما في البيت التالي:

كم هاجك الذكر بات الغر والسمر في يوم اسرائه قالكون مزدهر

فالقافية هنا: ﴿مزدهر﴾

أو تكون القافية كلمتين كما في البيت التالي:

لكل ما يؤدّي و إن قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم

فالقافية هنا: ﴿الم ينم﴾

أو بعض كلمة كما في البيت التالي:

و من بك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

فالقافية هنا: ﴿لالا﴾ [38]

حروف القافية:

للقافية ستّة حروف هى: الرّوى والوصل، والخروج، والرّدف، والتأسيس، والدخيل:[39]

ا. **الروي:**

هو الحرف المبني عليه القصيدة التى تنسب إليه و تسمّى به، و يتكرر في آخر أبياتها تكرارا متمثّلاً إما باللين أو الهاء أو ساكنا، فيقولون: بائية أبي تمام، سينية البحترى، نونية ابن زيدون، لا مية الطغرائى، عينية ابن زريق ، و عينية ضياء، ميمية المتنبي[40]، كما يتمثل فيما يلي من الأبيات:

١. من بائية أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب[41]

٢. من سينية البحترى:

صنت نفسي عما يدنس نفسي و ترفعت عن جدا كل جبس

٣. من نونية ابن زيدون:

أضحي التنائي بديلاً من تدانينا		و ناب عن طيب لقيانا تجافينا

٤. من لامية الطغرائى:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل		و حيلة الفضل زانتني لدي العطل

٥ . من عينية ابن زريق و عينية ضياء على الترتيب:

لا تعذليه فان العذل يولعه		قد قلت حقاً، ولكن ليس يسمعه

جرى به الشوق فانسابت مدامعه		وهاجه الوجد فاهتزت أضالعه [42]

٦. من ميمية المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم		و تأتي قدر الكرام المكارم[43]

فالروي في هذه الأبيات هو حرف العين، و حرف السين، و حرف النون المتصل بالألف الساكن، و حرف اللام، و حرف العين المتصل بالهاء، و حرف الميم.

ب . **الوصل**:

و هو الحرف النّاشئ عن إشباع الحركة في آخر الروي، كما يتمثل في البيت التالي:

و إذا المنية أنشبت أظفارها		ألفيت كل تميمة لا تنفع

فالوصل هنا هو الواؤ الـ ناشئة عن الحركة المشّبعة ﴿full movement﴾ بعد العين مباشرة في كلمة ﴿تنفع﴾، فتنطق ﴿تنفعو﴾.

ج . **الخروج**:

و هو حرف لين يتلو هاء الوصل مباشرةً كالياء النّاشئة عن إشباع الهاء في ﴿مساويه﴾ بدلاً من ﴿مساوِ﴾ كما في البيت التالي:

لا تحفظن على الندمان زلته		واقبل له العذر و احلم عن مساويه

د. **الردف**:

و هو حرفٌ لينٌ ساكن ﴿مثلاً واؤ أو ياء بعد حركة غير مجانسة لهما﴾ أو حرف مدّ ﴿مثلاً ألف أو واؤ أو ياء بعد حركة تجانسها﴾ قبل الروي يتصلان بّه كما فيما يلي منّ الأبيات:[44]

١. مثال حرف اللين الياء في ﴿عين﴾ من قول الشاعرأبى العتاهية:

الدار لو كنت تدري يا أخا مرح		دار أمام فيها قرة العين[45]

٢ . مثال حرف مدّ الياء في ﴿قريب﴾:

أنا في روضة الحبيب قريب ويكاد الفؤاد شوقاً يذوب

و ربما تمّ الجمع بين الواو والياء في ردف المدّ كما في البيتين التاليين:

فيا ساكني أرض الحبيب محمد لقد فزتم بالعيش و هو خصيب
و قفنا و كم هاجت بنامن عواطف ومدمع عيني في الرحاب سكوب

ر. **التأسيس**:

هو ألف هاويةٌ مفصولة عن الرّوي بحرف واحد متحرك فقط كما في البيت التالي:

يديرونني عن سالم و أديرهم وجلدة بيّن العينّ والأنف سالم

س . **الدخيل**:

هو حرفٌ متحركٌ حائل بين التأسيس والروي كالدال في كلمة ﴿صادق﴾ في البيت التالي:

فلا تقبلنهم إن أتوك بباطل ففي الناس كذاب و في الناس صادق [46]

حركات القافية:

للقافية ست حركات هى: الرس، والاشباع، والحذو، والتوجيه، والمجرى، والنفاذ.[47]

من طبيعة هذه الحركات أنّه إذا إستخدم الشاعر واحدة منها في مطلع شعره، وجب عليه أن يلتزمها في القصيدة برمتها.

و قد صبها صفى الدين الحلي في البيتين التاليين:

إن القوافي عندنا حركاتها ست على نسق بهن يلاذ
رس واشباع وحذو ثم تو جيه و مجرى بعده ونفاذ [48]

لقد تمّ تعريف هذه الحركات كما يلي:

ا. الرس: هى حركةّ ما قبل ألف التأسيس كما في كلمة ﴿جداول﴾.

ب . الإشباع: هى حركة الدخيل كما في كلمة ﴿عنادل﴾.

ج . الحذو: هى حركة ما قبل الردف كما في الكلمتين: ﴿نال، وصل﴾.

د. التوجيه: هى حركة ما قبل الروى المقيد ﴿يعنى الساكن﴾ كما في العبارة: ﴿لم يدر﴾.

ر. المجرى: هى حركة الروي المطلق كما في كلمة ﴿مسجد﴾.

س . النفاذ: هى حركة هاء الوصل التى تقع بعد الروي كما في العبارة ﴿مزارها﴾.[49]

القرآن والقافية:

يتميز القرآن الحكيم عن غيره من الكلام بأنه ليس نثراً ولا شعراً [50] إلاّ أنّه يختلف عن أسلوب النثر بما يختص به من النّظم والوزن والبحر والفواصل. رغم أن القرآن ليس شعراً و لا يتقيد ببحور شعرية، مع ذلك هو كلامٌ موزونٌ ذو نظمٍ عجيب و غريب له بحورٌ خاصةٌ به، هى ليست بحورٍ شعريّةٍ، بل بحور ترتيليّةٍ مسئولةٌ عما يتميزٌ القرآن الحكيم بالإيقاع الظاهرى الجميل المبني على عنصرين هما الجمال الموسيقي ﴿musical beauty﴾ النّاشئ عن إيقاع الحروف والكلمات و جرس صوتها في الأذن، والجمال التنسيقى ﴿symmetrical beauty﴾ القائم على تناسق الحروف والكلمات و تناغمها، و إئتلافها \على إيقاع قرآنى جميل يسحر الآذان و يأخذ بمجامع القلوب.[51]

بناء على ملاحظة هذه الميزة من الإ يقاع القرآني يتحدث سيد قطب عما يتواجد في القرآن من إيقاع موسيقي ﴿musical rhythm﴾ متعدد الأنواع، متناسق مع جو الآيات يقوم بتأدية وظيفة جوهرية خاصة بالبيان، كما شاركه في ملاحظة هذه الميزة القرآنية الموسيقي البارع المبدع الأستاذ مُحَمَّد حسن الشجاعى الذى يمتلك معرفة إختصاصية بالمصطلحات الموسيقية الفنية.[52]

يستطرد سيد قطب قائلاً بأنّ "النسق القرآنى قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً. فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة".

و في ذلك يتميز النسق القرآني بما يلي من الخصائص:

ا. حرية التعبير التامة عن أغراضه التامة جميعاً.

ب . والأخذ في نفس الوقت بداخلية الشعر الموسيقي والفواصل المتقاربة الوزن التى تغنى عن التفاعيل.

ج . تناول التقفية المتقاربة التى تغنى عن القوافي.

و كل ذلك يكون ذلك الإيقاع الداخلي الذى يشعربه الإ نسان قارئاً و مستمعاً للآيات القرآن في سياقها، ويأخذه القشعريرة . الإيقاع الموسيقي الكامن في آيات القرآن من البداية إلى النهاية، الذى يبرز على نحو واضح في السور القصار ذات الفواصل السريعة،[53] كما يلاحظ بغاية الوضوح فيما يلي من آيات سورة النّجم: " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وما

ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة ضيزى".[54]

إن الفواصل في هذه السورة، لا سيما المشار إليها اعلاه متساوية الوزن تقريباً و منتظمة على نظام خاص مختلف عن نظام الشعر العربي، و هى تتحد في أحرف التقفية جميعاً وتتميز بموجات الإيقاع الموسيقي الجارية والسارية فيها والمتحدة. و تبعا لهذا و ذلك ولأمر آخر لا يظهر على مسرح البيان القرآني ذى الوزن والقافية لكونه ينشأ من ظاهرة "تآلف الحروف في الكلمات، و تناسق الكلمات فى الجمل" . الأمر الذى يعود إلى الشعور والإدراك الموسيقي الداخلي الذى يميز بين إيقاع موسيقي و مجرد إيقاع رغم إتحاد الفواصل والأوزان.[55]

و يبدو ذلك جلياً في بعد الفواصل كما في الآيتين: "أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى".[56]

يلخص سيد قطب بحثه فى هذا الموضوع بقوله أنّ " إتزان الإيقاع" في الآيات والفواصل يلاحظ بشكل واضح في كل موضع من مواضع البيان القرآني، حيث يتنوع نظام الفواصل والقوافى في السور المختلفة، و قد يكون ذلك في سورة واحدة، كما تتعدّد ألوان الإيقاع الموسيقي، كما يلاحظ فيما يلي من الآيات: " قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين".[57]

في هذه الآيات المباركة، كما في غيرها من الآيات القرآنية يلاحظ مراعاة الوزن على نحو مطّرد تقريباً . الأمر الذى يتمثل في حذف ياء المتكلم في: "يهدين، و يسقين، و يشفين، ويحيين" حرصاً على الإحتفاظ بحرف القافية مع: "تعبدون، والأقدمون، والدين..."، و كذلك يلاحظ مثله حذف الياء الأصلية في الآيات: " والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذايسر ، هل في ذلك قسم لذي حجر".[58] فتم حذف ياء الفعل: "يسرى" بحسب التناغم مع: "الفجر، وعشر، والوتر، وحجر".[59]

و هكذا حذفت الياء كلمة "الداع" والكلمة: "نبغ" في هذه الآيات:

ا. " فَتَولَّ عنهم يوم يدعُ الدَّاعِ إِلَى شَيءٍ نُّكُرٍ ، خُشَّعًا أَبْصارهم يَخرجون من الْأَجدَاث كَأَنَّهم جراد مُّنتشرٌ ، مُّهطعين إِلَى الدَّاعِ يقولُ الْكَافرون هذَا يوم عسر"[60]. فإذا لم تحذف الياء في "الداعَ"، أدعىَ ذلكَ إلى ما يشبه إنكسار وزن الشعرَ، الذى يشعربه الإنسان قارئاً ومستمعاً.

ب . " ذَلكَ ما كُنَّا نبغِ فَارتَدَّا عَلَى آثَارهما قَصَصا "[61] . فلو تمّ تمديد الياء "نبغ" بجعل كلمة "نبغ" نبغي لأدى ذلك إلى نوعٍ من إختَلال الوزن.

وهكذا نلاحظ مراعاة الوزن والإيقاع الموسيقي بزيادة هاء السكت على ياء الكلمة أوياء المتكلم فيما يلي من الآيات:

١. " وأَمَّا منْ خفَّتْ موازينه ، فأُمُّه هاوية ، وما أَدْراكَ ما هيه " .[62]

٢. " فَأَمَّا من أُوتِيَ كتابه بيمينه ، فهو في عيشة رَّاضية }" .[63]

و هكذا تتخلّل بَناء العَبارَات القرآنيَة المَوسيقّي الدَّاخلية الموزونة بميزان أشد حساسية إلى حدّ أنه يتأرجح نتيجة أخفّ حركة و هزة، و إن لم يكن القرآن شعرا متقيداً بكثير من القيود الشعرية التى تجعل الحرية التعبيرية المطلقة تختنق في مضيق تلك القيود الشعرية و تصبح بعيدة عن المعنى المقصود.

يلخص سيد قطب ملاحظته لهذا الإفادة بقوله: "يتنوع نظام الفواصل والقوافى، كما تتعدّد الألوان الموسيقية".[64]

خلاصة القول أن القرآن ليس شعرا ولا نثرا إلاّ أنه يوجد فيه نظام الفواصل والقوافي، لا سيما في السور القصار، كما يتواجد معه تعدُّد ألوان وألحان الموسيقي بمعنى التناغم والتناسق الجاري والساري في آياته و سوره.

و أدعو الله أن يمنحنا أذناً واعية لإ دراك ما ينطوى القرآن عليه من هٰذا الإعجاز الموسيقي المتعدد الألوان والألحان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على من بُعثَ معلّماً ليتمّ مكارم الأخلاق.

مفهرس المصادر والمراجع:

1. القرآن
2. ابجد العلوم المسمى بالوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم : صديق بن حسن القنوجى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٨٨٣ م، المكتبة القدّوسية، لاهور، باكستان.
3. الإعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دارعمار.
4. بغية المستفيد من العروض الجديد: الأستاذ إبراهيم على أبو الخشب، بدون رقم الطبعة وتاريخها ونشرها.
5. تاج العروس من جواهر القاموس: مُحَّد مرتضى الزبيدى، بدون رقم الطبعة ١٩٩٣م، دارالفكر، بيروت.
6. تاج اللغة وصحاح العربية: ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، داراحياء التراث العربي، بيروت.
7. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار الشروق، القاهرة.
8. التوشيح الوافي والترشيح الشافي: ابن حجر العسقلاني، بدون رقم الطبعة و تاريخها و نشرها.
9. دلا ئل النّبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٥٨م، دارالكتب العلمية، بيروت.
10. ديوان أبي العتاهية: الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، دارالكتب العلمية، بيروت.
11. ديوان زهير بن أ بى سلمى: بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار صادر، بيروت.
12. شرح تحفة الخليل في العروض والقافية: عبد الحميد الراضى، بدون رقم الطبعه ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، مطبعة العاني، بغداد، عراق.
13. شرح ديوان المتنبي: بدون رقم الطبعة و تاريخها، دارالمعارفة، بيروت-
14. العروض: ابن جني، تحقيق: د. أحمد فوزي، بدون رقم الطبعة ١٩٨٩م، دارالعلم، الكويت.

15. العروض: الشيخ جلال الحنفي، بدون رقم الطبغه ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، مطبعة العانى، عراق.

16. علم العروض: الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، مؤسسة المختار، مصر.

17. علم القافيه عند القدماء والمحدثين ﴿دراسة نظرية و تطبيقية﴾: الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م، مؤسسة المختار، مصر.

18. العمدة في صناعة الشعر و نقده: أبو على الحسن بن رشيق القيروانى، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م، مطبعة امين هندية، مصر.

19. لسان العرب: مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري . الطبعة الأولى .١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

20. المزهر في علوم اللغة وانواعها: العلامة عبد الرحمٰن جلال الدين السيوطي، الطبعه الثالثة بدون رقم تاريخها، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

21. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر مُحَمَّد بن على السكاكى، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧ م، مطبعة مصطفىٰ البابى الحبلى، مصر.

22. من تاريخ الأدب العربي﴿العصر الجاهلي والعصر الإ سلامي﴾: طه حسين، الطبعة الرابعة ١٩٨٢م، دارالعلم، بيروت.

23. المنجد في اللغة: لوليس معلوف، الطبعة الخامسة والثلاثون ١٩٩٨م، دارالمشرق، بيروت.

24. الموجز في البلاغة والعروض: مُحَمَّد ضياء الدين الصابوني، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ، مهد الأئمه والدعاة، مكة المكرمة.

الهوامش:

---

[1]. المنجد في اللغة: لوليس معلوف، ص: ٥١٨۔ ٥١٩،الطبعة الخامسة والثلاثون ١٩٩٨م، دارالمشرق، بيروت.

[2]. لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، ج: ٧، ص: ١٦٥۔١٦٦، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ھ۔ ٢٠٠٣م۔ دارالكتب العلمية۔ بيروت۔ لبنان.

[3]. علم العروض: الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف، ص: ٧، الطبعة الأولى ١٤٢٣ھ۔ ٢٠٠٣م، مؤسسة المختار، مصر.

[4]. التوشيح الوافي والترشيح الشافي: ابن حجر العسقلاني، ص: ٩٢، بدون رقم الطبعة و تاريخها و نشرها.

[5]. المزهر في علوم اللغة وانواعها: العلامة عبد الرحمٰن جلال الدين السيوطي، ص: ٣٢٨، الطبعه الثالثة بدون رقم اريخها، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

[6]. شرح تحفة الخليل في العروض والقافية: عبد الحميد الراضى، ص: ٨، بدون رقم الطبعه ١٣٨٨ھ۔ ١٩٦٨م، مطبعة العاني، بغداد، عراق.

[7]. العروض، الشيخ جلال الحنفي، ص: ٢٦۔٢٧، بدون رقم الطبعة ١٣٩٨ھ۔ ١٩٧٨م، مطبعة العانى، عراق.

[8]. نفس المرجع، ص: ٢٤.

[9]. بغية المستفيد من العروض الجديد: الأستاذ إبراهيم على أبو الخشب، ص: ٢٠، بدون رقم الطبعة و تاريخها ونشرها.

[10]. العروض، الشيخ جلال الحنفي، ص: ٢٦۔٢٧.

[11]. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى، ص: ٢٤٥، الطبعة الأولى ١٣٥٦ھ۔ ١٩٣٧ م، مطبعة مصطفى البابى الحبلى، مصر.

[12]. نفس المرجع: ص: ٢٤٦.

[13]. العروض: ابن جني، تحقيق: د. أحمد فوزي، ج: ٢، ص: ٩٥، بدون رقم الطبعة ١٩٨٩م، دارالعلم، الكويت.

[14]. القرآن، س: النحل، آية: ٩٠.

[15]. دلا ئل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، ج: ٢، ص: ٥٠٥، الطبعة الأولى ١٤٠٥ھ۔ ١٩٥٨م، دارالكتب العلمية، بيروت.

[16]. مفتاح العلوم، ص: ٢٨٤.٢٨٣.

[17]. القرآن، س: طه، آية: ٥٥.

[18]. القرآن، س: البقرة، آية: ١٠.

[19]. القرآن، س: الإنسان، آية: ٢.

[20]. القرآن، س: القلم، آية: ٤٥.

[21]. القرآن، س: غافر، آية: ٣٣.٣٢.

[22]. القرآن، س: هود، آية: ٣٧.

[23]. القرآن، س: يوسف، آية: ٩١.

[24]. القرآن، س: البقرة، آية: ٢١٣.

[25]. القرآن، س: سبا، آية: ١٣.

[26]. القرآن، س: الشرح، آية: ٣.٢..

[27]. القرآن، س: الأنسان، آية: ١٤.

[28]. القرآن، س: التوبة، آية: ١٣.

[29]. القرآن، س: الماعون، آية: ٢.١.

[30]. القرآن، س: النساء، آية: ٧٨.

[31]. القرآن، س: هود، آية: ٧٨.

[32]. المنجد، ص: ٦٨٥.

[33]. علم العروض، الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف، ص: ٧.

[34]. ابجد العلوم المسمى بالوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم : صديق بن حسن القنوجى، ص: ٢٢٧، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ. ١٨٨٣م، المكتبة القدوسية، لاهور، باكستان.

[35]. تاج العروس من جواهر القاموس: مُحَمَّد مرتضى الزبيدى، ج: ١، ص: ٨٥٥٦، بدون رقم الطبعة ١٩٩٣م، دارالفكر، بيروت. ج: ١، ص: ٨٥٦.

[36]. تاج اللغة و صحاح العربية: ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ج: ٢، ص: ٩٠، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، داراحياء التراث العربي، بيروت.

[37]. ديوان زهير بن أبي سلمى: ص: ٢٤، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار صادر، بيروت.

[38]. الموجز في البلاغة والعروض: مُحَمَّد ضياء الدين الصابوني، ص: ١٢٨، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ، مهد الأئمه والدعاة، مكة المكرمة.

[39]. علم القافيه عند القدماء والمحدثين ﴿دراسة نظرية و تطبيقية﴾: الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف، ص: ١١، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م، مؤسسة المختار، مصر.

[40]. الموجز في البلاغة والعروض: ص: ١٢٩-١٣٠.

[41]. العمدة في صناعة الشعر و نقده: أبو على الحسن بن رشيق القيروانى، ج: ١، ص: ١٤٥، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م، مطبعة امين هندية، مصر.

[42]. المرجع السابق: ص: ١٢٩.

[43]. شرح ديوان المتنبي: ج: ١، ص: ٢٧٤، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دارالمعارفة، بيروت .

[44]. الموجز في البلاغة والعروض: ص: ١٣٠.

[45]. ديوان أبي العتاهية: ص: ٢٣٠، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، دارالكتب العلمية، بيروت.

[46]. الموجز في البلاغة والعروض: ص: ١٣٠.

[47]. علم القافيه: ص: ٣٣.

[48]. المرجع السابق: ص: ١٣١

[49]. علم القافيه: ص: ٣٤-٣٥.

[50] من تاريخ الأدب العربي، طه حسين، ج: ٢، ص: ٤٢٤، الطبعة الرابعة ١٩٨٢م، دارالعلم، بيروت.

[51]. الإعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى، ص: ١٣٥-١٣٦، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دارعمار.

[52]. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص: ٨٤، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار الشروق، القاهرة.

[53]. نفس المرجع، ص: ٨٥

[54]. القرآن، س: النجم، آية: ١-٢٢.

[55]. المرجع السابق: ص: ٨٦-٨٨.

[56]. القرآن، س: النجم، آية: ١٩-٢٠.

[57]. القرآن، س: الشعراء، آية: ٧٥-٨٢.

[58]. القرآن، س: الفجر، آية: ١-٥.

[59]. التصوير الفني في القرآن: ص: ٨٧.

[60]. القرآن، س: القمر، آية: ٦-٨.

[61]. القرآن، س: الكهف، آية: ٦٤.

[62]. القرآن، س: القارعة، آية: ٨-١٠.

[63]. القرآن، س: الحاقة، آية: ١٩-٢٠.

[64]. نفس المرجع، ص: ٨٨٨٧.